



من أسرار السعادة (القناعة)

أيها المؤمنون: لقد خلق الله الإنسان، وأكرمه، وأعطاه، فمنهم الراضي القانع، ومنهم الجشع الطامع كما قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} {الفجر: 15-16}، والمؤمن الحق من رضي بقسمة الله تعالى وعطائه؛ فالقناعة أيها المسلمون الكرام هي: الرضا بالوجود، وترك الحزن على المفقود، وهي عزة في النفس لا تشتري، وسعادة لا تنقطع، ومال لا ينفد، وحياة هائلة آمنه؛ ولذلك يقول الله تعالى: {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ} {النحل: 97}، ومن رزقه الله القناعة فقد أفلح وكلت أعماله بالنجاح كما قال بأحسن ما كانوا يعملون [قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه]، ولقد كان رسول الله: النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قنوعا بما آتاه الله عز وجل يطلب الآخرة ويرجوا مرضاة ربه ويدعوا قائلًا: [اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا-على قدر الحاجة والكفاية-] [متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- معاشر المسلمين: إن النفس البشرية تحب الزيادة وتميل إليها، وتريد الاستكثار من كل شيء كما قال الشاعر (والنفس راغبة إذا رغبتها، وإذا ترد إلى قليل تقنع)، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهذب سلوك أصحابه رضي الله عنهم بما يحقق لهم القناعة والسعادة فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: " يا حكيم إن هذا المال خَصِرٌ حَلْوٌ-شيء محبوب مَرغُوب ترغبه النفوس وتحرص عليه بطبيعتها- فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى [(رواه البخاري)، وقد تلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه بصدق ويقين، فكانوا يربون أولادهم على القناعة، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس، فهذا سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول لابنه: " يا بني إنك لن تلقى أحدًا هو أنصح لك مني، فإياك والطمع؛ فإنه فقر حاضر، وعليك بالقناعة فإنها الغنى".

أيها المسلمون: لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطرق والوسائل التي توصلنا إلى القناعة والرضا، وخلصتها: أن يوقن الإنسان أن الرزق والنعم من الله تعالى، فعلى المسلم أن يتأمل نعم الله عليه، ولا يقارن بينه وبين الناس، وإذا قارن فليُنظر إلى من هو أقل منه؛ كي يستحضر نعمة الله عليه ولا يزدريها كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: [انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم] رواه مسلم.

فاللهم ارزقنا القناعة والرضا بما أعطيتنا، وأعنا على شكر نعمائك، ووفقنا جميعاً لطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم.

كتبه فضيلة الشيخ/ وليد معوض عبدالحليم مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى مدينة كامبيناس - بولاية ساو باولو - البرازيل.